توطئة ومقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على هادى البشرية ونورها محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على هديه واقتدى بسنته إلى يوم الدين.

وبعد،

فسيرة المصطفى ﷺ، وسيرة صحبه الذين رباهم على يديه، وغيَّر بهم تاريخ البشرية كلها فيما بعد هى أعظم صفحة مضيئة فى تاريخ هذه الأرض على الإطلاق، ولعظمة هذه الصفحة كان الملائكة والنبيون يترقبونها قبل وقوعها، فكانت أملاً للبشرية المهتدية قبل البعثة، ثم صارت واقعًا يمشى على الأرض، ثم بقيت بعد وفاة رسول الله ﷺ أعظم قمة يرنو إليها الناس، ويتطلعون للوصول إليها وأنى لهم ذلك.

أما أن الملائكة فى السموات العلا هم فى انتظارها. فنشهد ذلك من حديث المعراج (لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج، ولم أرى شيئًا قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا

حُضِر. فأصعدنى صاحبى فيه، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك – قال: يقول رسول الله ﷺ حين حدَّث بهذا الحديث: وما يعلم جنودَ ربك إلا هو – فلما دُخِل بى قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا محمد. قال: أو قد بُعِث؟ قال: نعم. قال: فدعا لى بخير).

فإسماعيل أمير باب الحفظة الذى يقود مائة وأربعة وأربعين مليون ملك فى زاوية من زوايا ملكوت الله فى السماء لم يقل: من محمد؟ إنما قال: أوقد بعث. لأنه يعرفه. ويعرف أنه سيد ولد آدم وسيد النفلين الإنس والجن.

وفى رواية البخارى كلما استفتح فى سماء من السموات السبع يجرى هذا الحوار بين حارس السماء وبين جبريل سيد الملائكة: (ثم صُعِد بى إلى السماء.. فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء. ففتح) ولم يسأل جبريل أحدٌ من الملائكة: من محمد؟ إنما كان السؤال؟ أوَ قد بُعث؟ أو قد أرسل

إليه؟ وهو القول نفسه مع رسول الله تعالى. فكان جبريل يدل رسول الله ﷺ عليهم، هذا آدم، هذا يوسف، هذا.. ولم يقل له أحد منهم: من أنت؟، إنما كانوا يقولون له: (مرحبًا بالابن الصالح، والنبى الصالح أو: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح). وكيف يجهلونه وقد أخذ الله ميثاقهم على الإيمان به ونصرته وليس الميثاق من الرسل فقط، إنما الميثاق من النبيين جميعًا الذين شملهم وحى الله، وهم عشرات الألوف أو مئاتها ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. فهو نبى الأنبياء ورسولهم بلا منازع. وما نبى إلا حدث قومه عن رسول الله ﷺ. وخاصة ألو العزم من الرسل. أما الذين أنزل عليهم كتبًا، فقد خصوا بذكر رسول الله ﷺ عند اتباعهم، وأثبت ذلك فى كتبهم وقال الله تعالى عنهم:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] وأثبت الله تعالى فى كتبهم صورة أمته التى يربيها، وصحابته الذين يناصرونه، بل ذكر

بعضهم بصفاته مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والذين مثلوا الخلافة الراشدة. وساروا بهذا الدين إلى أقصى المعمور، وهذه مواصفاتهم كما ذكرهم القرآن فى التوراة والإنجيل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٨، ٢٩] فإذا كان الملائكة فى السموات، والرسل والنبيون فى الأرض، وأتباع الرسل والكتب المنزلة يعرفون رسول الله ﷺ، ويعرفون أمته وصحابته، فهل يجوز لمسلم فى هذه الأرض أن يجهل هذه السيرة بعد ذلك؟؟

ولأن كتب السيرة منذ خمسة عشر قرنًا، وإلى اليوم تتكرر، أحداثًا، وفقهًا لهذه الأحداث، مع تطور البشرية فى كل عصر ومصر. فماذا يستطيع المسلم العادى أن يحصى منها، ويطلع عليها.

هذا السؤال على أهميته لم يثر جواب محدد عليه خلال الأحقاب السابقة إنما كان الجواب العام هو ضرورة الاطلاع على سيرة المصطفى ﷺ لانها التطبيق العملى للقرآن والسنة.

ولعل أشهر كتاب فى السيرة النبوية تلقته الأمة بالقبول على مدار القرون هو سيرة ابن إسحاق التى شذّبها واختصرها العلامة ابن هشام، وأصبحت تعرف فيما بعد بسيرة ابن هشام.

وهى المرجع الأساسى المعتمد للسيرة عند الأمة. (فقد روى الخطيب بسنده عن حرملة بن يحيى التجيبى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول: من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق)[1] وعاصر موسى بن عقبة ابن إسحاق وله كتاب فى المغازى لكنه لم يصل إلينا إنما كان منبثًا فى بطون الكتب.

وتنوعت كتب السيرة فيما بعد من وريقات فيها إلى مجلدات تجاوزت الثلاثة عشر مجلداً كما فى أوسع كتب السيرة (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف

---

(١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادى، ١/٢١٩.

الصالحى الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ للهجرة) والذى استقى من قرابة ثلاثمائة مصدر من كتب السيرة التى سبقته.

وحيث إن لابن إسحاق معاصرين له قد رووا بعض ما فاته وزادوا عليه أمثال الواقدى وموسى بن عقبة، والطبرى بعدهما، فكان لابد من كتاب مختصر فى السيرة النبوية يجمع أهم ما كتب فيها بحيث يمثل الحدى الأدنى مما لابد لكل مسلم من التعرف عليه، ولا يستغنى عنه بيت مسلم. وحرصت على أن يكون هذا الكتيب هو المحقق لهذا الهدف.

لقد عشت مع السيرة النبوية منذ نعومة أظفارى وها أنذا أشارف على الستين من عمرى، وأرجو الله أن أكون قد اطلعت على معظم ما كتب فى السيرة من مصادرها الأولى المعتمدة. وتشرفت فى الكتابة فيها، الكتابات المختصرة والموسعة والمنهجية حيث أوفت على خمسة عشر كتابًا من المجلدات الكبار ما بين مطبوع أو تحت الطبع. راجيًا الله تعالى أن تكون أرجى ما ألقى الله تعالى به. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم بعد شهادة أن لا إله إلا الله. وعشت سعادة عمرى خاصة فى أعوامى الأخيرة مع رسول الله ﷺ رفقة يومية، كانت هى جنتى فى دنياى. آملاً أن يكرمنى

الله تعالى بأن أسعد بهذه الصحبة حتى ألقى وجه الله، وأن أكرم بأن أكون رفيق من أحببت عند رب العالمين. وأنا أحافظ على دعاء يومى لا أكاد أغادره أبدًا.

اللهم ما كتبته وأكتبه فى سيرة نبيك. اللهم اجعله خالصًا لوجهك، صوابًا وفق كتابك وسنة رسولك. اللهم اكتب له القبول عندك والانتشار فى الأرض، وزد به حبك وحب نبيك محمد ﷺ، وارزقنا الاقتداء والتأسى به يا رب العالمين. اللهم ارزقنى به شفاعة نبيك ﷺ، ورفقته فى جناتك جنات النعيم. وبعد هذه الخبرة الطويلة مع السيرة النبوية، عطر هذا الوجود، أحببت أن أقدم أربعين عنوانًا هى جماع مواضيع السيرة وأهمها على الإطلاق، أضع تحتها ما هو أكثر ما يكون ضرورة للتعرف عليه من المسلم العادى، ليكون رفيق كل بيت، سهل التناول، بعيدًا عن التعقيد. متأسيًا بالحافظ النووى الذى وضع كتاب الأربعين النووية، والتى رأى قوام الدين بها، وما لا يستغنى عنه كل مسلم، ومتأسيًا بالأربعين فى أصول الدين وغيرها التى كتبت خلال التاريخ. وأمسيتها بكتاب الأربعين فى سيرة سيد المرسلين، كان الاعتماد الأساسى فيها على روايات ابن إسحاق، دون أن أتقيد بها، وحرصت على أن تكون مقبولة فى منهج كتابة السيرة كما سار عليها سلفنا الصالح من علماء الحديث

أمثال الذهبى والبيهقى وابن كثير والطبرى والسيوطى والحافظ ابن حجر العسقلانى، والذين انتهى إليهم علم الحديث والجرح والتعديل، بعيداً عن لزوم ما لا يلزم فى تطبيق منهج المحدثين على منهج السيرة والتاريخ الإسلامى، الذى عرفه محدثو الأمة خلال القرون ولم يطبقوه.

ولا أنكر أبداً أن الفكرة فى هذا الكتاب يعود الفضل فيها للأخ الدكتور راكان عبد الكريم حبيب، الأستاذ فى قسم الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز الذى كان يحثنى دائما ويطالبنى بإخراج مثل هذا الكتاب، وحاصرنى حتى نفَّذت رغبته عن قناعة تامة بضرورته، دون أن يلغى أى كتاب آخر لأحد. وذلك ليعم نفعه كل مكان فى الأرض من حيث صغر حجمه، وسهولة تناوله، واحتوائه على أهم ما يجب الاطلاع عليه فى السيرة النبوية. وقد تقيدت بهذه المواصفات لأبعد الحدود. إنما كنت أحيانًا أسوق بعض القصص التى ليست على هذا المستوى من الأهمية ليبقى لكل موضوع رونقه وجاذبيته. كما حرصت على إثبات النص كما هو دون تدخل منى فيه، إلا فى الجمع والاختصار والحذف، وشرح بعض الألفاظ الغامضة لتحقيق هدف الكتاب المطلوب.

راجيًا الله تعالى القبول، وحسن المثوبة، وتحقيق الهدف الذى وضع الكتاب من أجله، شاكرًا لأخى الدكتور راكان هذا التبنى لهذا الكتاب، فكرةً وطباعةً ونشرًا. وأن نحشر معًا تحت لواء سيد المرسلين وفى رفقته فى جنات النعيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الثلاثاء غرة ربيع الأول ١٤٢٠هـ
١٩٩٩/٦/١٥م

د. منير محمد الغضبان

obeikandl.com